



مطبعة جامعة المجمع

آثار الإمامين قديم الجوزية وما لحقها من أعمال

(٢٢)

تحفة المودع بإحكام المودع

تأليف
الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيس الجوزية
(٦٩١ - ٧٥١)

تحقيق
عثمان بن جماعة ضميرية

وفق التوفيق للمفتي الشيخ العلامة
بكر بن عبد الله بن زيد
(توفي ١٢٧٤ هـ)

تمويل
مؤسسة سيامان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية

دار عالم الفوائد
بمشرف

نسخ للبيع



مطبعات الجمع

آثار الإمام ابن قيم الجوزية وما لحقها من أعمال

(٢٢)

مختصر المودود بإحكام المودود

تأليف
الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيس الجوزية

(٦٩١ - ٧٥١)

تحقيق

عثمان بن جمعة ضميرية

وفق النهج المعتمد من الشيخ العلامة

بكر بن عبد الله الجوزية

(رحمة الله تعالى)

تمويل

مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية

دار عالم الفوائد

للنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَاجَعَ هَذَا الْمَجْمُوعَةَ

خَلِدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَعْرَبِيُّ

مُحَمَّدُ بْنُ جَمَلٍ الْأَضَلِيُّ

سَلِيمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَمِيرِيُّ



مؤسسة سليمان بن عبدالعزيز الراجحي الخيرية
SULAIMAN BIN ABDUL AZIZ AL RAJHI CHARITABLE FOUNDATION

حقوق الطبع والنشر محفوظة
لمؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية
الطبعة الاولى ١٤٣١هـ —

دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع

مكة المكرمة - هاتف ٥٤٧٣١٦٦ - ٥٤٧٣٥٩٠ - فاكس ٥٤٥٧٦٠٦



الصَّفِّ والِاخْتِلاَعِ دَارَ عَالَمِ الْفَوَائِدِ لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

مقدمة التحقيق

الحمد لله، وسلامٌ على عباده الذين اصطفى، وبعد:

(١)

فقد اهتمَّ علماء الأمة الإسلامية بالتأليف والتصنيف في كل الفنون والعلوم الدينية والأدبية والتاريخية والتربوية والتطبيقية وغيرها، وكان علم الفقه من أول العلوم التي أولاها العلماء عنايتهم في كل العصور، وتنوّعت مناهجهم وطرائقهم في ذلك؛ فهناك كتب شاملة لأبواب الفقه كلّها، من العبادات والمعاملات والمناكحات والعقوبات وغيرها، وهناك كتب في علم أصول الفقه، وفي القواعد الفقهية والأشباه والنظائر، وفي علم الخلاف. وهذه كلّها تتناول موضوعات وأبواباً تتصف بالشمول للأحكام العملية في جوانب الحياة كلها.

ومن العلماء من أفرد بعض الأبواب والمسائل الفقهية بالتصنيف والتأليف ابتداءً، أو تلبية لحاجة طارئة، أو إجابة على سؤال أو استفتاء، فنشأت كتب الفتاوى والرسائل والكتب المفردة في باب معيّن من أبواب الفقه أو في مسألة من مسائله، يتناولها المصنّف بالدراسة الواسعة، فيحدّد موضوع بحثه، ويبيّن منهجه، وسبب تأليفه أو كتابته، ويرسم خطّه التي تنطوي - أحياناً - على أبواب وفصول و مباحث أو

فروع و مسائل و تنبيهات. وقد تكون هذه الدراسة ضمن مذهب فقهي أو مدرسة فقهية معينة^(١).

وقد تتسع دائرة البحث في الدراسة للمسألة أو الموضوع، فيتناولها المؤلف في المذاهب الفقهية المشهورة وغيرها من مذاهب السلف - رحمهم الله جميعًا -. وأثناء ذلك يعرض أقوال العلماء ومذاهبهم والروايات المنقولة عنهم، ويستقصي الأدلة لكل قول، ثم يناقش ويوازن ليرجح ما تطمئن إليه نفسه، أتباعًا للدليل الصحيح والنص الصريح، وإعمالاً للقواعد والأصول في الاستنباط. وهذا مجال واسع للآراء والأقوال والترجيح للرأي النجیح.

ونجد أمثلة كثيرة على هذه الطريقة عند علمائنا في القديم والحديث، في شتى العلوم والفنون. ولا يغيب عن الذهن «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية»، و«المعيار المغير» للونشريسي، و«الحاوي للفتاوى» للسيوطي، و«فتاوى السبكي»، و«رسائل ابن نجيم» الحنفي، و«مجموع رسائل الملا علي القاري الهروي»، و«الفتح

(١) من الأمثلة على ذلك أن العلامة أبا محمد بن غانم بن محمد البغدادي الحنفي (المتوفى في حدود ١٠٣٠هـ) جعل مسائل الضمانات موضوعًا لكتاب قائم برأسه هو «مجمع الضمانات في مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان» وقد طبع في المطبعة الخيرية بمصر عام ١٣٠٨هـ، ثم صدر في مجلدين بتحقيق محمد أحمد سراج، وعلي جمعة محمد، عن دار السلام بالقاهرة عام ١٤٢٠هـ.

الرباني» للشوكاني، ومجموعة «رسائل أبي الحسنات اللكنوي»، و«فتاوى الشيخ محمد عlish»، و«فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ» و«فتاوى ورسائل الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز» وغيرها كثير.

فهذه الكتب والفتاوى والمجاميع لا تقتصر على الإجابة على السؤال باختصار حسب حاجة السائل أحياناً، بل تتضمن مسائل أُفردت بالكتابة والبحث برسالة مستقلة.

وتلك الطريقة التي أشرت إليها، هي التي تسير عليها الجامعات العصرية والمعاهد العليا والكليات العلميّة في مناهجها ودراساتها العليا، حيث تشترط لتخريج الطالب في مرحلة التخصص الأولى (الماجستير) وفي مرحلة العالميّة العالية (الدكتوراه) أن يكتب أطروحة أو رسالة مبتكرة في موضوع تخصصه، لها شروطها ومواصفاتها.

(٢)

تأتي هذه الكلمات بين يدي كتاب «تحفة المودود بأحكام المولود» للإمام العلامة المتفنز، شمس الدين، محمّد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزيّة المتوفى سنة (٧٥١هـ) رحمه الله تعالى. وهو نموذج لتلك الدراسة والأسلوب الذي أشرت إليه.

وهذا الكتاب سبق له أن طبع عدة طبعات في كثير من البلاد الإسلاميّة، وكان لانتشاره أثر كبير في الإفادة منه - على اختلاف منهج

ميزان أعمالنا يوم العرض عليه، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وأسأله - سبحانه - أن يجزي كلَّ من كان سبباً فيه، وكلَّ من ساعد فيه، وبخاصة أهل بيتي وأولادي وبناتي جميعهم، الذين ساعدوا في المقابلة والمراجعة، وأدعو الله تعالى أن يحفظهم وأن يجعلهم قررة عين في الدنيا والآخرة.

وأما الأساتذة الكرام: الدكتور خلدون الأحذب، والدكتور محمد أجمل الإصلاحي، والشيخ علي بن محمد العمران، والدكتور سليمان العمير، الذين كان لقراءتهم الدقيقة وملاحظاتهم السديدة خير عون على الوصول بهذا العمل إلى ما نصبوا إليه من الإلتقان، فما أنا ببالغ ما أريد من الثناء، فجزاهم الله خير الجزاء. وكذا أشكر الأخ الشيخ عدنان البخاري على قيامه بصنع فهرس الكتاب، فجزاه الله خيراً.

والحمد لله ربَّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا ونبيّنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

عثمان بن جمعة ضميرية

جامعة الشارقة

في: ٢٠ رجب ١٤٣٠هـ

أولاً: تربية الأولاد

الأسس والعوامل المؤثرة

كانت الكلمة الأولى التي أنزلت على رسول الله ﷺ في آخر اتصال للسماء بالأرض هي كلمة «اقرأ»: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤﴾ [العلق: ١-٥].

١ - التربية في مدرسة النبوة:

وتتابع الوحي على رسول الله ﷺ، وبدأ ﷺ يدعو قومه للإسلام، ويقوم بتربية النخبة المختارة من بني البشر، التي أراد الله لها أن تمسك بزمام القيادة العالمية، وأن تكون ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] لتقوم بأعباء الرسالة الخاتمة، التي أعدها الله تعالى للقيام بها، فقد ربّاهم ﷺ في مدرسة النبوة على الإيمان بالله تعالى وحده، وبعث في نفوسهم العزة والأمل، ربّاهم في مكة المكرمة أولاً: على الإيمان والصبر والمجاهدة... ليتلقوا دعوة الإسلام بكل تكاليفها، ثم تابع ﷺ المسيرة التربوية: إيماناً وإخلاصاً وتضحياً وعبودية لله، ليسموّ بنفوس تلك النخبة الممتازة، من الجيل المثالي الذي تخرّج على يديه.

منهج متكامل للتربية:

وقد قامت هذه التربية على أساسين عظيمين هما: كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، وهما المصدران الأساسيان لهذا الدين، وقد حفل كل منهما بمنهج متكامل للتربية الإسلامية المثالية، يشمل غايات التربية، ومنهجها، ووسائلها، وطرقها، وعواملها.

منهج يتناسق مع جميع مراحل النمو:

وهو منهج يعطي كل مرحلة من مراحل النمو الإنساني ما يناسبها من التربية المتوازنة الشاملة المتكاملة، إذ اقتضت حكمة الله تعالى: أن يمر الإنسان بمراحل مختلفة، ويتقلب في هذه الحياة أطواراً؛ فهو «جنين» في بطن أمه، متكامل الخلق، بعد أن كان قبلها «نطفة» ثم «علقة» ثم «مضغة»، كما أشار إلى ذلك - سبحانه وتعالى - في كتابه الكريم فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن نُّرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُؤَفِّقُ وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدِّدُ إِلَىٰ أَزْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٌ ﴿٥﴾ [الحج: ٥].

ثم هو بعد ذلك - بعد مرحلة الجنين - «طفل»، ثم «ناشيء»، ينتقل لمرحلة «المراهقة» فمرحلة «الفتوة» فمرحلة «الشباب»،

ثم «الكُهولة» و«الشَّيخوخة».

وهو في كلِّ مرحلة من هذه المراحل: يتَّسم بصفات وسماتٍ جسميَّة ونفسيَّة وُحليَّة تختلف عن الأخرى، وله في كل مرحلةٍ وطور حاجاتٌ ودوافع، ولكل مرحلة مشكلات خاصة وأساليب في التكيُّف والنموِّ والتربية، يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار، عند تربية هذا الكائن.

والإسلام - دين الله الخالد - يضع لكل مرحلة من مراحل عمر الإنسان خطة تربوية فذة، ترتقي بهذا الإنسان إلى مدارج عالية وآفاق سامية، نلمحها في علاقة هذا الإنسان وتعامله مع ربه تبارك وتعالى، ومع نفسه، ومع الآخرين من حوله.

المنهج التربوي المتميز:

واليوم نجد كثيرًا من المثقفين وغير المثقفين يديرون كلمة «التربية» على ألسنتهم صباح مساء، وينظرون إلى مناهج التربية في بلاد الغرب على أنها هي التربية المثالية الفذة، التي تجعل من الإنسان نموذجًا مثاليًا يُشار إليه بالبنان... وينسون - وهم في غرة البريق الخادع - أصالة دينهم، وشخصيتهم الإسلامية، ومنهجهم التربوي المتميز...

فكان من الوفاء لهذا الدِّين ولهذه الأمة وأجيالها المؤمنة: أن نعود بالأمر إلى نصابه، وبالفضل لأهله وذويه، وهذا ما دفعني لكتابة هذه الكلمات في تقديم هذا الكتاب، و الصلة بينهما وثيقة ومتمينة.

٢- عوامل التربية:

يقصد بعوامل التربية كلّ المؤثرات التي تؤثر في النشأة والنمو، من النواحي الجسمية والعقلية والخلقية والدينية.

ويُعنَى الباحثون في التربية بتصنيف هذه العوامل وتعدادها، إلا أنه يمكن رَجْعُهَا إلى طائفتين اثنتين:

(الطائفة الأولى): عوامل التربية المقصودة، وهي الوسائل المدبّرة التي يقوم بها الكبار حيال الصغار للتأثير في أجسامهم وعقولهم وأخلاقهم، لإعدادهم للحياة المستقبلية. وأهم مواطن هذا النوع من التربية: الأسرة (البيت) والمدرسة. ولما كانت المساجد تقوم بوظيفة المدرسة قبل إنشائها، فإننا نضيف هذا العامل الهام وهو المسجد، وكذلك المنهج الدراسي الذي يقوم بوظيفة كبرى في تقديم ما ينبغي للأبناء في دراستهم.

(الطائفة الثانية): عوامل التربية غير المقصودة، وهي العوامل التي تؤثر في نشأة الأطفال والمراهقين ونموهم دون أن يكون للكبار دخل في توجيهها نحو هذه الغاية، ولا في أدائها هذه الوظائف. وتنقسم هذه الطائفة إلى أقسام كثيرة، أهمها ما يلي:

أ- عوامل طبيعية، كالوراثة والبيئة والجغرافية.

ب- الأمور التي يقوم بها الطفل مدفوعاً إليها بعامل ميوله الفطرية، ومن أظهر هذه العوامل: الألعاب الحرة والتقليد.

ج - عوامل اجتماعية، كحضارة الأمة المنبثقة عن معتقداتها، وما إلى ذلك مما تشمله البيئة الاجتماعية العامة، ويندرج فيها ما يكون الرأي العام، كوسائل الإعلام ونحوها^(١).

فأهم عوامل التربية هي: الأسرة، والمدرسة، والمسجد، الوراثة، والبيئة الجغرافية، واللعب والتقليد، والبيئة الاجتماعية العامة، ووسائل الإعلام. و العامل الأول فيها هو أهم هذه العوامل وأكثرها تأثيراً وصلة بموضوع هذا الكتاب، فيحسن أن نخصّه بالتنويه وبشيء من التفصيل.

دور الأسرة في التربية:

الأسرة هي الخلية الاجتماعية الأولى في المجتمع، وعلى صلاحها وقوتها واستقامتها يتوقف صلاح المجتمع وقوته وتماسكه، فالمرأة والرجل هما عماد الأسرة؛ إذا صلح كلُّ منهما استطاع أن يكون بيتاً نموذجياً على القواعد التي وضعها الإسلام، وقد وضع الإسلام قواعد هذا البيت فأحكم وضعها، فقد أرشد الزوجين إلى حسن الاختيار، فقال رسول الله ﷺ: «تنكح المرأة لأربع: لدينها ولمالها ولحسبها ولجمالها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»^(٢).

(١) انظر: عوامل التربية، د. علي عبد الواحد وافي، ص (٣) وما بعدها.
(٢) أخرجه البخاري في النكاح برقم (٥٠٩٠) ومسلم في الرضاع برقم (١٤٦٦).

وبين الطريق الفطري في لقاء الرجل بالمرأة، فقال الله سبحانه
وتعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا
وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

وحدد الحقوق والواجبات على كل من الطرفين، وما يتميز به كل
واحد منهما، فقال الله تعالى: ﴿ وَهَلْ نَسِئَ الْمِثْلَ الَّذِي عَلَيْهَا بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وأوجب على الطرفين رعاية ثمرات الزواج (الأطفال) حتى تينع
وتنضج في غير عبث ولا إهمال، فقال الله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوًّا
أَنْفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا
يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحریم: ٦].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ
كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا
تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَالِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ وَعَلَى
الْوَالِدِ مِثْلُ ذَلِكَ ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

وعالج ما يعترض هذه الحياة الزوجية من مشكلات أدق علاج،
واختط في كل نظراته طريقاً وسطاً، لا إفراط فيه ولا تفريط، فقال الله
تعالى: ﴿ وَإِنْ أَمْرَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ
يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ
اللَّهَ كَانَ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٨].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَلْصَقَ لِحَدِيثِ قَدْ نُنْتُ حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّي تَخَافُونَ شُرُوهُنَّ فَعُظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعَنَّكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤-٣٥].

والإسلام يعتبر نظام الأسرة هو النظام الطبيعي الفطري المنبثق من أصل التكوين الإنساني، بل من أصل الأشياء كلها في الكون الذي يقوم على قاعدة الزوجية.

والأسرة هي المحضن الطبيعي الذي يتولى حماية الناشئة ورعايتها وتنمية أجسادها وعقولها وأرواحها، وفي ظله تتلقى مشاعر الحب والرحمة والتكافل، وتنطبع بالطابع الذي يلازمها مدى الحياة، وعلى هديه ونوره تفتح للحياة وتتعامل معها^(١).

والأسرة منذ القديم كانت تقوم بوظائف اجتماعية كثيرة، ثم بدأت هذه الوظائف تتطور سعة وشمولاً، وتضييقاً وتحديداً، حيث أصبحت كثير من المؤسسات الاجتماعية والتعليمية والثقافية تنازع الأسرة هذه الوظائف الاجتماعية والتربوية إلا أنها لازالت - وستبقى - عاملاً من

(١) في ظلال القرآن: ٢ / ٢٣٥.

أهم عوامل التربية على الإطلاق، وترجع على بقية العوامل الأخرى مجتمعة^(١).

تأثير الأسرة في العوامل التربوية:

والأسرة تؤثر في العملية التربوية من ناحيتين اثنتين:

(الأولى) تأثيرها في عوامل التربية الأخرى، فإن للمنزل آثارًا

بليغة في مختلف عوامل التربية الأخرى المقصودة وغير المقصودة.

و(الثانية) آثارها التربوية الخاصة بها. فالطفل الإنساني هو أطول

الأحياء طفولة، ومن ثم كانت حاجته لملازمة أبويه أشدَّ من حاجة أي

طفل لحيوان آخر، وكانت الأسرة المستقرة الهادئة ألزم للنظام الإنساني

وألصق بفطرة الإنسان وتكوينه ودوره في هذه الحياة، وعلى المنزل

يقع قسط كبير من واجب التربية الخلقية والوجدانية والدينية في جميع

مراحل الطفولة، بل في المراحل التالية لها كذلك؛ ففي المنزل تشيد

أسس العقيدة والعبادة والأخلاق، فإن كان الأساس متينًا كان البناء قويًا

متينًا، وإلا انهار البناء.

(١) انظر عوامل التربية ص ٥-٧، الأسرة والمجتمع ص ١٦-٢١ كلاهما للدكتور علي عبد الواحد وافي.

٣- وسائل التربية:

أ - الوسيلة الأولى: القدوة الحسنة، وهي الوسيلة الفعالة في التربية، ولها التأثير الكبير فيها بجميع نواحيها، إذ لا بد للطفل في البيت أو الطالب في المدرسة من مثل أعلى يقتدي به ويتربص خطاه، فلنقدم له القدوة الحسنة متمثلة برسول الله ﷺ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، ومتمثلة بالجيل الأول من الصحابة، ومن أبطال الإسلام وقادته على مرّ العصور.

والرسول ﷺ لم يكن يربي أصحابه بالكلام يديره على لسانه، وإنما كان يربيهم بأفعاله، فقد كان -عليه الصلاة والسلام- قرآنًا يمشي على الأرض، و«كان خلقه القرآن»؛ لذا مدحه الله تعالى فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

والمسلم يربي بسلوكه وعمله قبل أن يربي بلسانه وكلامه. والإسلام انتشر في كثير من بقاع العالم بواسطة التجار المسلمين الذين كانوا أمثلة طيبة وقدوة صالحة.

ولذلك نجد الطفل الذي يرى أبويه يقفان في جوف الليل، يناجيان الله تعالى بالعبادة والصلاة والدعاء... يتعلم السموّ الروحي عمليًا منهما.. ولن يتعلم الفضيلة طفل يرى أبويه أو أحدهما منغمسًا في الرذيلة والشهوات؛ لأنهما قدوة له، وهو يتأثر بهما، ولن يتعلم

وكان عليه الصلاة والسلام يعظ أصحابه عند ما يشاهد خطأ، وينبّه إليه بطريقة تربوية فذة، حيث يصعد المنبر ويقول: «ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا، أو ما بال أقوام يتزهون عن كذا»^(١).. أو «ليتتهين أقوام عن كذا..»^(٢)

جـ - والقصة هي الوسيلة الثالثة: وهي وسيلة فعالة، لأن الإنسان يتطلع دائماً ويتشوق إلى معرفة المجهول، ويتطلع إلى المفاجآت، والقصة تحتوي على كل هذه العناصر المشوقة، ومن هنا كان تأثيرها الكبير في النفس، حتى إن القرآن الكريم قد ذكر كثيراً من القصص بهدف التربية وأخذ العبرة والعظة ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١].

وقد أخضع القرآن الكريم القصة بجميع أنواعها للغرض الديني التربوي. فليكن هذا حافزاً لاستعمال القصص الناجحة الموجهة في تربيتنا لأولادنا وطلابنا.

د - التربية بالأحداث والوقائع: وهي وسيلة بارزة، حيث يستطيع المربي الماهر أن يتلقف كل حادث يقع ليغرس في أعقابه مباشرة ما يريد

(١) كما في صحيح البخاري، كتاب الاعتصام: ٢٧٦/١٣، وصحيح مسلم في الفضائل: ٤/١٨٢٩.

(٢) كما في صحيح مسلم، كتاب الجمعة: ٥١٢/٢.

من المثل والأخلاق والأحكام في نفوس من يعلمهم ويربيهم؛ لأن النفس في أعقاب الحادثة تكون مستعدة لتلقى الدرس، كما فعل القرآن الكريم في تربية الجيل الأول، ونجد أمثلة لذلك في الآيات التي تنزلت في أعقاب غزوة بدر وأحد وحنين .. إلخ، ونجد لهذا أمثلة رائعة في السيرة النبوية كما في موعظة النبي ﷺ للأَنْصار عقب توزيع غنائم هوازن ...

هـ - ونأتي أخيراً إلى العقوبة والمثوبة ومكانهما في التربية، فإن المثوبة أو الجزاء الطيب على العمل الطيب والتشجيع عليه بكل طريقة، وسيلة ناجحة تحمل على السعي الحثيث نحو الخير والفضيلة، وما أكثر الآيات القرآنية التي يرغّبنا الله تعالى فيها بجنته وثوابه.

والعقوبة أيضاً تقابل المثوبة وتسير معها، فليست كل نفس تنفع فيها المثوبة أو الموعظة، وعندئذ نلجأ إلى العقوبة وسيلةً أخيرة في التربية، وهي تتدرج من النظرة إلى الكلمة الطيبة ثم الكلمة العنيفة القاسية حتى إنها لتصل أحياناً إلى الضرب .. وخير عقوبة هو الحرمان من المثوبة والجزاء.

وغني عن البيان أن كلاً من المثوبة والعقوبة تنوع إلى مادية وأدبية، ولكل منهما تأثير في النفوس. وحسبنا هذه الإشارات السريعة، وللتفصيل مجال آخر (١).

(١) انظر بالتفصيل: منهج التربية الإسلامية: ١ / ١٨٠ وما بعدها.

٤ - أُسُس التربية في البيت المسلم:

وفيما يلي عرض موجز لبعض الأسس والقواعد التي تقوم عليها التربية الإسلامية، وهي في الحقيقة من مقومات المنهج التربوي في الإسلام.

أ. التربية الخلقية:

إن التربية الخلقية من المثل السامية للتربية في الإسلام، وهي تعمل على تكوين رجال مهذبين ونساء مهذبات، ذوي نفوس أبية، وعزيمة صادقة، وأخلاق عالية، وعندما امتدح الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. وقال رسول الله ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»^(١). وروي عنه أنه قال: «أدبني ربي فأحسن تأديبي»^(٢).

والأخلاق يجب أن تكون قرين العلم، بل تاجه، لأن العلم إن لم يصحبه الخلق، كان وسيلة هدم وشر، وفي هذا يقول الشاعر:

لا تحسبنّ العلمَ ينفعُ وحده ما لم يُتَوَّجْ ربهُ بخلاقٍ

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ: ٤٧/٢. وانظر: مجمع الزوائد للهيتمي: ١٥/٩.
(٢) رواه السمعاني في أدب الإملاء والاستملاء ص ١، والعسكري في الأمثال. وهو ضعيف من حيث السند. انظر كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما يدور من الحديث على ألسنة الناس للعجلوني: ١٦/١.

فلا بد إذن من شيء آخر بعد العلم والمعرفة، اسمه التهذيب والتربية الخلقية، فينبغي أن يكون دائماً لوزارة المعارف رسالة مزدوجة، جامعة بين التربية والتعليم جميعاً ...

ولهذا عدلت كثير من الدول اسم وزارة المعارف إلى وزارة التربية، لأن التربية لها المحل الأول من العناية، والتعليم وسيلة لا غاية، كما أن التربية تتضمن أيضاً العلم والمعرفة.

وقد عني الإسلام بالتربية الخلقية منذ طفولة الناشئ حتى تتكون لديه العادات الحسنة منذ الصغر، إذ يشيب المرء على ما يشبُّ عليه.

والطفل كالنفس، إن تهمله شبَّ على حبِّ الرضاع وإن تفضمه ينظم

ب - تربية الضمير الديني:

إن القرآن الكريم يقف بكل شخص من المسلمين أمام ثلاث محاكم أدبية؛ محكمة الضمير في قلوبنا، ومحكمة الرأي العام من حولنا، ومحكمة السماء من فوقنا، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهُ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسُرُدُّوْا إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥].

وقد هيأنا القرآن الكريم وأعدنا للوقوف أمام هذه المحاكم بأنواع ثلاثة من التربية لوجداننا: تربية الوجدان الخلقي، وتربية الوجدان الاجتماعي، وتربية الوجدان الأدبي.

جـ - بناء الشخصية السوية:

ومنهج الإسلام في بناء شخصية المسلم، يجعلها شخصية سوية، تتمتع بكل مظاهر الصحة النفسية وأركانها. فالإسلام إذا خالطت بشاشته القلوب: يشيع فيها الطمأنينة والثبات و الاتزان الانفعالي والعاطفي والعقلي، ويقيها من القلق و الخوف و الاضطرابات. كما يعنى الإسلام بغرس أركان الصحة النفسية في المسلم منذ المراحل الأولى لحياته، ويوجهه إلى المرونة في مواجهة الواقع، والصبر عند البلاء، ويحثه على التعاون مع جماعة، المسلمين، ويحثه على القناعة والرضا والتفاؤل.

د - الإقناع وحرية الفكر:

يدعو الإسلام إلى توليد الرغبة والدافع، وتحري الإقناع، والحلم وسعة الصدر، وترك المجاهرة بالتوبيخ؛ ولذلك أمر أن تكون الدعوة بالحسنى والرفق، فقال الله تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

كما احترم الإسلام الفكر وأعطاه الحرية في العمل، ولكنه أحاطه بضوابط كثيرة لئلا يضل، ومن هنا كانت حرية العقيدة، بمعنى عدم الإكراه على الدين بالنسبة لأهل الكتاب من اليهود و النصارى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

هـ- النهي عن التقليد الأعمى:

يهاجم الإسلام التقليد، وينعى على المقلدين في كثير من آيات القرآن، ويسخر منهم ويجعلهم كالحوانات التي لا إرادة لها ولا إدراك. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَاؤُكَ أَأَبَاءُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَثَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَتَّعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عَمِيٌّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١].

وقال عليه الصلاة والسلام: «من تشبه بقوم فهو منهم»^(١).

و- المساواة وتكافؤ الفرص:

ومن أسس التربية الإسلامية المساواة في الحقوق والواجبات. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

وقال عليه الصلاة والسلام: «لا فضل لعربي على أعجمي.. إلا بالتقوى»^(٢).

(١) أخرجه أبو داود في اللباس، باب لباس الشهرة: ٢٤/٦ (من مختصر المنذري وتعليق ابن قيم). وبأتم منه أخرجه الإمام أحمد: ٥٠/٢، وفي طبعة الرسالة: ١٢٣/٩، وعبد ابن حميد، ص ٢٦٧، وابن أبي شيبة: ٣١٣/٥. وقواه ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم: ٢٣٦/١. وانظر تعليق المحقق على المسند في الموضوع السابق.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند: ٤١١/٥، وفي طبعة الرسالة: ٤٧٤/٣٨. وقال محققه: إسناده صحيح.

وهذه المساواة لا تغفل عوامل الذكاء والاستعدادات والملكات الفطرية، واختلاف القدرات العامة والخاصة وأثر ذلك كله في النشاط العام وترقية الحياة.

ز. الدعوة إلى العمل:

إن القرآن الكريم يدعو إلى العمل الذي يجلب الخير للناس، ويؤدي إلى زيادة وتنمية الحصيلة الإنتاجية للأفراد والجماعات، ولذلك يجب أن توجه العناية إلى تدريب القوى البشرية للارتفاع بمستوى الحياة من جميع نواحيها. قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

ح. الدعوة إلى العلم:

وليست الدعوة إلى العلم مقصورة على العلم الديني فحسب، ولكنها تتناول جميع العلوم والمعارف التي تساعد على النهوض بمستوى الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية، وبذلك فتح الإسلام آفاقاً رحبية أمام العقل الإنساني ودعاه إلى الفكر والنظر. والآيات والأحاديث في العلم وفضله والحث عليه، وفي النظر والفكر والتفكير والمطالبة بالدليل، كثيرة تعزُّ على الحصر، كقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ؕ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

ط . الوسطية والاعتدال:

استمدت التربية الإسلامية روحها من روح الإسلام فكانت تربية وسطاً في النواحي المادية والروحية، أو الدنيوية والأخروية، فهي تدعو إلى الأخذ من كلٍّ منهما بنصيب. قال الله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الفصص: ٧٧].

ي . الرفق والحب:

يوجّه الإسلام أتباعه إلى المعاملة بالرفق والحب، والبعد عن العنف بكل صورته، قال عليه الصلاة والسلام: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه»^(١). وفي سيرة النبي عليه الصلاة والسلام، وفي سيرة أصحابه أمثلة رائعة للتربية برفقٍ على أساس الحب والمودة.

ك . التكليف بالوسع:

يوجه الإسلام إلى أن تكون معاملتنا لمن نربيههم قائمة على سياسة واعية تقدر طبيعة المرحلة التي يمرون بها وما يتناسب مع قدراتهم وإمكاناتهم، فلا نكلفهم فوق ما يطيقون، مما يعجزون عن تنفيذه والالتزام به، قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة، باب فضل الرفق: ٣/ ٢٠٠٤ برقم (٢٥٩٤).

هذه لمحات عن بعض أسس التربية في الإسلام، نكتفي بها في هذا المقام، تاركين التفصيل والتوسع للمراجع المختصة بالتربية الإسلامية.

وفي ختام هذه الفقرة: من الواجب أن نؤكد على توجيه الأبناء توجيهاً سليماً واضحاً، والابتعاد عن السطحية والضحالة في تقديم الأفكار الدينية لهم وتعليمهم إياها؛ إذ يجب أن نوسّع ثقافتهم من الناحية الدينية حتى نهض بمستواهم الروحي، ونرى أثر هذه الثقافة في أخلاقهم وسلوكهم.

والذي ينبغي تأكيده من أجل أن تقوم الأسرة بدورها في تربية الأبناء: هو أن نسعى لتوفير البيئة النظيفة الصالحة كي تتضافر العوامل كلها على عملية البناء، ولذلك فإن كل من بيده الأمر - قدرة وعلمًا وسلطاناً - يجب عليه أن يقف في وجه وسائل الإعلام الهدامة التي تدعو إلى الخنا والفجور والرذيلة، لأنها أسرع فتكًا وأعون على الهدم من غيرها. وهنا تأتي أهمية المحاضن النظيفة المؤثرة كالمراكز الشبابية والمراكز الصيفية والنوادي العلمية والاجتماعية.

وهذا هو الطريق السوي السليم - فيما أحسب - في توجيه الأبناء دينياً واجتماعياً وخلقياً، بحيث نبعث في نفوسهم السكينة والاطمئنان، والثقة بالنفس، مع القناعة العقلية والوجدانية، والمباعدة بينهم وبين الغرور، وبهذا نحفظهم من رياح الإلحاد والاستهتار

والانحلال، ونؤهلهم للقيام بالدور الذي تنتظره منهم أمتهم
ومجتمعهم. والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

٥- أهم الكتب في أحكام الأولاد وتربيتهم:

حفلت المكتبة الإسلامية بجملة وافرة من كتب التراث الإسلامي
في أحكام الصبيان وتربية الأبناء وما يتصل بذلك من المباحث التي
عرض لها المصنف - رحمه الله - كالختان والعقيقة وثواب الصبر على
فقد الأولاد من البنين والبنات. وفيما يلي طائفة من هذه الكتب ملتقطة
من «معجم الموضوعات المطروقة في التأليف الإسلامي»، ومن
«كشف الظنون» وذيله: «إيضاح المكنون»، مما يجعلني أكتفي بهذه
الإشارة إليهما دون إكثار من الحواشي والإحالات عند كل كتاب منها.
ومن هذه الكتب:

- الاحتفال بالأطفال، للشيخ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر
السيوطي، المتوفى سنة (٩١١ هـ)، وهي رسالة أوردتها بتمامها في
«الحاوي للفتاوى». وهو مطبوع.

- أخبار الصبيان، لمحمد بن مخلد بن حفص العطار الدورى
المتوفى سنة (٣٣١ هـ).

- ارتياح الأكباد بأرباح فقد الأولاد، للشيخ شمس الدين محمد بن
عبد الرحمن السخاوي المتوفى سنة (٩٠٢ هـ).

- الإرشاد إلى حكم موت الأولاد، لجمال الدين يوسف بن حسن
ابن أحمد المعروف بابن عبدالهادي المتوفى سنة (٩٠٩ هـ).

- أسنى المقاصد فى معرفة حقوق الولد على الوالد، لزين الدين
بركات بن أحمد بن محمد بن يوسف الدمشقى معروف بابن الكيال
المتوفى سنة (٩٢٩ هـ).

- برد الأكباد عند فقد الأولاد، للحافظ شمس الدين محمد بن
ناصر الدين الدمشقى المتوفى سنة (٨٤٢ هـ). مطبوع.

- البرهان فى أصح أقوال الختان، لأبي المواهب البكري.

- البستان فى مسألة الختان، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي
المتوفى سنة (٩٠٢ هـ).

- تبريد حرارة الأكباد فى الصبر على فقد الأولاد، لكمال الدين
أبى حفص عمر بن أحمد بن العديم الحلبي المتوفى سنة (٦٦٠ هـ).

- تبين الامتنان بالأمر بالاختتان، لأبى القاسم علي بن الحسن بن
هبة الله بن عساكر الدمشقى، المتوفى سنة (٥٧١ هـ).

- تحرير المقال فى آداب وأحكام مؤدبي الأطفال، لشهاب الدين
أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي المكي الشافعي
المتوفى سنة (٩٧٤ هـ). وهو مطبوع.

- تحفة أهل الإحسان لفضائل سنة الختان، لأبى عبد الله محمد بن
محمد بن يوسف.

- تحفة الصبيان، لمحمد توفيق بن شيخ عثمان بن الشيخ مصطفى
الأنقروى المتوفى (١٣١٩ هـ).

- تسلية الحزين فى موت البنين، لشهاب الدين أحمد بن يحيى بن حجلة (التمسانى الحنفى) المتوفى سنة (٧٧٦ هـ).
- التعريف والتبيين فى ثواب فقد البنين، لكمال الدين محمد بن يحيى الهمداني المصري الشافعي.
- التغلغل والإطفا لنارٍ لأتظفا، فى موت الأطفال، لجلال الدين عبدالرحمن بن أبى بكر السيوطى المتوفى (٩١١ هـ).
- التلقين لأولاد المؤمنين، لأبى الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراجكي نزيل الرملة المتوفى سنة (٤٤٩ هـ).
- تنبيه الغبي على حكم كفالة الصبي، لأحمد بن سيد محمد مكى الحسينى الحموي شهاب الدين المصري المتوفى (١٠٩٨ هـ).
- ثواب المصاب بالولد، للحافظ أبى القاسم علي ابن عساكر الدمشقي، المتوفى سنة (٥٧١ هـ).
- جامع أحكام الصغار لمحمد بن محمود بن الحسين الأُسروشنى الحنفى، المتوفى سنة (٦٣٢ هـ). وهو مطبوع بالقاهرة.
- الحرز المعدّ لمن فقَد الولد، لتاج الدين السعدي عبد الغفار بن محمد المتوفى سنة (٧٢٢ هـ).
- رشف الحقيقة فى كشف العقيقة، لمستقيم زاده الرومى.
- سلوان الجلد عند فقدان الولد، لسليمان بن خلف المصرى المتوفى سنة (٦١٤ هـ).

- سلوة الهموم، لحسام الدين علي بن أحمد الرازي الحنفي
المتوفى (٥٩٨هـ).

- فصل الجلد عند فقد الولد، لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي
المتوفى (٩١١هـ).

- الفضل المبين في الصبر عند فقد البنات و البنين، للشيخ الإمام
شمس الدين محمد بن علي بن يوسف الدمشقي الصالحي المتوفى
(٩٤٢هـ).

- كتاب العقيقة، لعلي بن الحسن بن فضال الكوفي.

- مآدبة الختان، لجمال الدين محمد بن محمد القارصي الرومي
الحنفي المتوفى سنة (١٢٦١هـ).

ثانيًا: كتاب «تحفة المودود بأحكام المولود»

١ - نسبة الكتاب للمؤلف وتسميته:

إن نسبة الكتاب لابن قيم الجوزية ثابتة من طرق لا تجعل للشك طريقًا إلى هذه النسبة؛ فقد جاءت جميع النسخ الخطية للكتاب مصرّحة بذلك، وستأتي - إن شاء الله تعالى - نماذج من صور النسخ الخطية.

كما جاءت نسبة الكتاب أيضًا في الكتب التي عُنت بالتراث والفهارس، وفي المصادر التي ترجمت للمؤلف مثل «كشف الظنون» لحاجي خليفة^(١)، و«هدية العارفين» للبغدادي^(٢)، و«أبجد العلوم» للقنوجي^(٣)، و«الذيل على طبقات الحنابلة» لابن رجب^(٤)، و«الدر المنضد في ذكر أصحاب الإمام أحمد» للعُلَيْمي^(٥)، و«طبقات المفسرين» للداوودي^(٦)، و«شذرات الذهب في أخبار من ذهب» لابن العماد الحنبلي^(٧)، و«البدر الطالع» للشوكاني^(٨)، وغيرها من المصادر.

(١) ٣٧٥/١

(٢) ١٥٨/٢

(٣) ١٤٠-١٣٨/٣

(٤) ٤٥٠/٢

(٥) ٥٢٢/٢

(٦) ٩٦/٢

(٧) ١٧٠/٦

(٨) ١٤٣/٢

ونجد في الكتاب كثيرًا من النصوص والمسائل أو المباحث المشتركة في كتب أخرى للمصنف مثل «زاد المعاد»^(١)، و«التيان في أيمان القرآن»^(٢)، و«مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة»^(٣)، و«بدائع الفوائد»^(٤)، و«كتاب الفروسية»^(٥)، و«طريق الهجرتين»^(٦)، و«الطرق الحكمية في السياسة الشرعية»^(٧)، و«إعلام الموقعين عن رب العالمين»^(٨)، و«شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل»^(٩)، و«جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام»^(١٠)، و«عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين»^(١١). وقد أشرت إلى مواضع هذه المشابهات أو بعضها في مناسباتها.

-
- (١) انظر فيما سيأتي من التحفة: ص ٤٥ و ٦٦ و ٦٩ و ٧٣ و ٧٤ و ٩٥ و ١٠٢ و ١٦٣ و ١٦٧ و ١٩٢ و ٢٠٢ و ٢١٥ و ٢٣١ و ٢٦٩ و ٢٩٦ و ٣٤٦ و ٣٦٢.
- (٢) انظر فيما سيأتي: ص ٣٥٦ و ٣٥٨ و ٣١٢ و ٣٧١ و ٣٧٨ و ٣٩٤.
- (٣) انظر فيما سيأتي: ص ٣٥٦ و ٣٩٤.
- (٤) انظر فيما سيأتي: ص ٢١٢.
- (٥) انظر فيما سيأتي: ص ٣١٦.
- (٦) انظر فيما سيأتي: ص ٣٧١ و ٤١٦.
- (٧) انظر فيما سيأتي: ص ٣٩٤ و ٣٩٥.
- (٨) انظر فيما سيأتي: ص ٢٥٩ و ٣١٣.
- (٩) انظر فيما سيأتي: ص ٢٣٥ و ٣٧١.
- (١٠) انظر فيما سيأتي: ص ٢١٢.
- (١١) انظر فيما سيأتي: ص ٢٣٥ و ٣٧١.

كما أن المصنّف نقل عن شيخه «ابن تيمية» في عدد من المواضع، وهذه النقول ثابتة في كتب الشيخ وفتاواه بنصها أحياناً^(١). وكذلك نقل عن شيخه «أبي الحجّاج المزي»^(٢).

أما تسمية الكتاب؛ فقد نصّ عليها المصنّف - رحمه الله - في مقدمة كتابه فقال: وسَمَّيْتُهُ: «تُحْفَةُ المَوْدُودِ بِأَحْكَامِ المَوْلُودِ». وهو العنوان المثبت على غلاف نسختي الظاهرية بدمشق (د) و قليج علي بإستانبول (ج).

وجاء على غلاف المحمودية بالمدينة المنورة (أ): «تُحْفَةُ المودودِ في أَحْكَامِ المولودِ» كما هو في «كشف الظنون» و«هدية العارفين» و«الدر المنضد»، وذكره في «هدية العارفين» مرة ثانية باسم «أحكام المولود».

أما نسخة عارف حكمت بالمدينة المنورة (ب) فجاء العنوان فيها على الغلاف «تحفة المولود».

وفي نسخة دار الكتب المصرية رقم (٨٧) فقه حنبلي، وفي «الذيل على طبقات الحنابلة» لابن رجب، وفي «أبجد العلوم» لمحمد

(١) انظر فيما سيأتي، الصفحات: ١٤٧ و ١٥٦ و ٢٦٩ و ٢٩٢ و ٣٢١ و ٣٦٢.

(٢) انظر فيما سيأتي، ص ٢٣١.

صديق خان القنوجي باسم «تحفة الودود في أحكام المولود»، وهو كذلك في «بغية النساك» للسفارييني.

وهذه التسميات إما تحريف أو اختصار للاسم أو إشارة إليه، ويبقى العنوان الأول الذي أثبتناه، هو العنوان الصحيح المشهور؛ ولأن المصنّف رحمه الله نصّ عليه كاملاً في مقدمته.

٢- سبب تأليف الكتاب وموضوعه:

وكان سبب تصنيف الكتاب ما ذكر في صفحة عنوانه من نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق، فقد كتب عليها: «قال من نثق بقوله: إن الله - عز وجلّ - رزق ابن المصنّف برهان الدين مولوداً، و لم يكن عنده في ذلك الوقت ما يقدمه لولده من متاع الدنيا، فصنّف هذا الكتاب و أعطاه إياه، وقال له: أتحنفتك بهذا الكتاب؛ إذ لم يكن عندي شيء من الدنيا أعطيك»، وسمّاه «تحفة المودود بأحكام المولود».

و أما موضوعه: فقد أبان عنه المصنّف بقوله في مقدمته^(١): «وهذا كتابٌ، قصّداً فيه ذكّر أحكام المولود المتعلّقة به بعد ولادته ما دام صغيراً؛ من عقيته وأحكامها، وحلق رأسه، وتسميته، وختانه، وبوله، وثقب أذنه، وأحكام تربيته، وأطواره من حين كونه نُطفةً إلى مُستقرّه في الجنة أو النار، فجاء كتاباً بديعاً في معناه، مشتملاً من الفوائد على ما لا

(١) ص ٦ و ٧ من مقدمة المصنّف.

يَكَادُ يُوجَدُ فِي سِوَاهُ؛ مِنْ نُكْتِ بَدِيعَةٍ مِنَ التَّفْسِيرِ، وَأَحَادِيثَ تَدْعُو
الْحَاجَةَ إِلَى مَعْرِفَتِهَا وَعِلَلِهَا وَالْجَمْعَ بَيْنَ مُخْتَلِفِهَا، وَمَسَائِلَ فِقْهِيَّةٍ لَا
يَكَادُ الطَّالِبُ يَظْفَرُ بِهَا، وَفَوَائِدَ حِكْمِيَّةٍ تَشْتَدُّ الْحَاجَةُ إِلَى الْعِلْمِ بِهَا».

ثم وصفه وأبان عن مكانته فقال: «فهو كتابٌ ممتعٌ لقارئه، مُعْجَبٌ
لِلنَّاطِرِ فِيهِ، يَصْلُحُ لِلْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ، وَيَحْتَاجُ إِلَى مِضمونِهِ كُلِّ مَنْ وَهَبَ
لَهُ شَيْءٌ مِنَ الْأَوْلَادِ. وَمِنْ اللَّهِ أَسْتَمِدُّ السَّدَادَ، وَأَسْأَلُ التَّوْفِيقَ لِسُبُلِ
الرَّشَادِ، إِنَّهُ كَرِيمٌ جَوَادٌ».

٣- منهج الكتاب وأسلوبه:

يجد الدارس لكتاب «تحفة المودود بأحكام المولود» أن المؤلف
سلك منهجًا وصفيًا استقرائيًا نقديًا مقارنًا. فهو منهج وصفي يستند إلى
التحليل باستقراء الجزئيات وتصنيفها وترتيبها، مع التوثق والتأكد من
صحة نسبة الأقوال ومناقشتها، وما يكتنفها من شرح وتفسير.

وهو أيضًا منهج استنباطي يستخدم القواعد الأصولية والفقهية
واللغوية، وينطلق من الجزئيات إلى الكليات والحقائق العامة.

وهو كذلك منهج مقارن يقابل الآراء والأقوال ببعضها ويوازن
بينها ليرجح ما يراه القويِّ الراجح منها. وبذلك تكاملت لدى المصنف
أنواع المنهج العلمي في البحث.

وأما أسلوب الكتاب؛ فهو ما عهدناه في سائر كتبه و مؤلفاته^(١)، فهو يمتاز بالوضوح في العبارة، و البعد عن الجفاف والتعقيد، ينتقل من حكم أصل إلى حكم فرع، إلى إشارات تربوية وتحضيض على الطاعات وتحذير من المخالفات، ويمزج هذا كله بروحانية عالية وشفافية فائقة، يقرأ القارئ فيه صفحات طويلة دون أن يقف عند كلمة أو عبارة تحتاج إلى شرح أو إيضاح، إلا ما كان أقل من القليل.

كما يمتاز بقوة الحجة والدليل، وتنوع وسائل الاستنباط؛ فهو يقدم الحجة تلو الأخرى من القرآن الكريم و السنة النبوية والآثار المروية والإجماع و القياس، ويمزج ذلك بالحكمة التشريعية والتعليل. وهذا الاعتداد بالأدلة الشرعية لم يقف حاجزاً بينه وبين الاستفادة من كتب غير المسلمين في الطب و التشريح و الغذاء فيما نقله عن «بقراط» و «جالينوس» مثلاً، مع تعقيبه على بعض النقول والآراء.

كما يمتاز بالروح الإصلاحية التي تشيع في أبواب الكتاب وفصوله، وفي تعقيبه على كثير من المسائل والآراء و المذاهب، حيث كتبه بروح الداعية المصلح و فكره، ومزج بين الحكم الفقهي والإرشاد و التوجيه.

(١) وانظر ما كتبه الشيخ بكر أبو زيد عن منهج المؤلف في البحث والتصنيف في كتابه «ابن قيم الجوزية: حياته، آثاره، موارده» ص ٨٥-١٢٨.

ويتميز بميزة أخرى - كسائر كتبه - وهي البعد عن التعصب المذهبي و الهجوم على الآخرين من المخالفين، فرغم اعتداده بمذهب الإمام أحمد وعنايته بنصومه في كل المسائل التي عرضها، فإنه يعرض آراء العلماء بإنصاف واستيعاب، وقد يناقشها بأدب وعلم، وقد يرجح بعضها ويعلن ذلك الترجيح. ولا ضير في أن يوافق القارئ في هذا الترجيح أو ذاك أو يخالفه فيهما أو في أحدهما، فباب العلم و الترجيح باب واسع لا يضيق بأصحابه، وما ينبغي محاربة التعصب للرأي بتعصب آخر.

هذا، وقد نجد في الكتاب استطرادات تدعو إليها الحاجة أحياناً، كما قد تدعو إليها المناسبة، وفي هذا وذاك فائدة للقارئ، أشار إليها المصنف في كتابه واعتذر عنها، كقوله عقب استطراد في فصل عقده لوقت تسمية المولود^(١): «وهذا فصلٌ معترض يتعلّق بوقت تسمية المولود، ذكرناه استطراداً، فلنرجع إلى مقصود الباب».

وفي موضع آخر عقد فصلاً «فيما يُستحبُّ من الأسماء وما يُكره منها» واستطرد فيه استطرادات مفيدة، ثم قال^(٢): «وهذا بابٌ طويل عظيمُ النفع، نبّهنا عليه أدنى تنبيه، والمقصودُ ذكرُ الأسماء المَكروهةِ

(١) ص ١٦٢.

(٢) ص ١٨٢.

والمحجوبة». وإن كانت الاستطرادات أحياناً تقطع سلسلة الأفكار المتتابعة، وتفصل بين فقرات الموضوع الواحد المتكامل.

ويصف الشيخ العلامة محمد أبو زهرة أسلوب ابن القيم في الكتابة و التآليف فيقول^(١): «كانت كتابته في هدأة واطمئنان، ولذلك جاءت هادئة، وإن كانت عميقة الفكرة، قوية المنحى، شديدة المنزع، وكانت حسنة الترتيب؛ منسقة التبويب؛ متساوقة الأفكار؛ طلية العبارة، لأنه كتبها في اطمئنان؛ وتجمع كتابته جمعاً متناسباً بين عمق التفكير وبعده غوره، ونصوع عبارته وحسن استقامة الأسلوب؛ من غير ضجة ألفاظ ... و كانت كتابته مع كل هذا فيها نور السلف، وحكمة السابقين، فهو كثير الاستشهاد بأقوال السلف الصالح من الصحابة والتابعين».

٤ - مصادر الكتاب:

اعتمد المصنف - رحمه الله - جملة من المصادر التي لها قيمتها العلمية، وقد تنوعت ما بين كتب في التفسير والحديث وشروحه، وكتب في الفقه والمسائل الفقهية، وكتب في الفقه العام والإجماع والخلاف، وكتب في السيرة النبوية، وفي التاريخ والتراجم، وكتب في اللغة والأدب، وكتب في الطب. وبعض الكتب متخصصة في باب أو مسألة معينة. ومن هذه المصادر ما هو مطبوع، ومنها ما لا يزال

(١) في كتابه: ابن تيمية، حياته وعصره، آراؤه وفقهه. ص ٥٢٨.

مخطوطاً. ومن المصادر ما قد يكون النقل منه بالواسطة، كالذي نجده في كتب أصحاب المسائل المروية عن الإمام أحمد - رحمه الله - فقد أكثر من الرجوع إلى «الجامع لعلوم الإمام أحمد» لأبي بكر الخلال، لينقل الروايات المتعددة التي رواها أصحاب المسائل أو بعضهم.

كما نجد ضمن مصادره معلومات شفوية مباشرة كالذي سمعه من شيخيه ابن تيمية^(١) والمزي^(٢) وغيرهما^(٣).

وفيما يلي إشارة إلى أهم هذه المصادر ومواقع الاستفادة منها مرتبة على الحروف:

- الأجنة لبقرط، ص (٣٥٨ و ٣٦١ و ٣٩٩ و ٤٠١).

- الاحتياطات للحكيم الترمذي، بواسطة «الختان» لابن أبي جراحة، ص (٣٠١).

- الأدب لحميد بن زنجويه، ص (٢٠٦ و ٢٠٧).

- الإرشاد إلى سبيل الرشاد لابن أبي موسى، ص (٢٣٧).

- الاستذكار لابن عبد البر، ص (١٧٦ و ١٧٨).

(١) انظر فيما سيأتي، الصفحات: ١٤٧ و ١٥٦ و ٣٦٢.

(٢) انظر فيما سيأتي ص (٢٣١).

(٣) انظر ص (٢٩٠) حيث قال: وأخبرني صاحبنا محمّد بن عثمان الخليلي المحدث ببيت المقدس... وفي ص (٤٠٠) ذكر ما حدّثه به رئيس الأطباء بالقاهرة.

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، ص (١٥٤ و١٥٦ و١٥٧ و١٦٢ و٢٦٣).

- أسماء رسول الله ﷺ ومعانيها لابن فارس، ص (٢١٠).

- الإشراف على مذاهب العلماء لابن المنذر، ص (٢٣٩ و ٢٤٩ و٢٦٧ و٢٦٨ و٣٨٢).

- أعلام الحديث للخطابي، ص (٢٤١).

- الأوسط لابن المنذر، ص (٣٤ و١٥١).

- البسيط في التفسير للواحدي، ص (١٩).

- تاريخ ابن أبي خيثمة، ص (٦٨ و١٨٦ و٢٠٤ و٢٠٥ و٢٠٧).

- التاريخ الكبير للبخاري، ص (١٧٤ و٣٢٩ و٣٣٠).

- تاريخ بغداد، للخطيب، ص (٢٩٨ و٣٠٣ و٣٠٤ و٣١٠).

- تاريخ نيسابور، للحاكم ص (٣٢٩).

- تفسير ابن جرير الطبري، ص (٢٧٢ و٢٧٣ و٢٧٤).

- تفسير القرآن العظيم لعبد الرزاق، ص (٢٣٣).

- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر،

ص (٦٣ و٦٥ و٦٧ و٧٢ و٧٥ و٨٨ و٩٤ و٩٥ و١١٢ و١١٦ و١١٧ و١٢٤ و١٤٣ و١٤٥ و٢٩٦ و٢٩٧ و٣٠٤ و٣٠٥).

- تهذيب اللغة للأزهري، ص (٤٢٤ و ٤٢٥).
- الجامع للخلال، ص (٧٧، ٩٨، ١٠٧، ١١٠، ١١٥، ١١٨، ١٢٢، ١٤٣، ١٥١، ٢٧٧).
- جامع ابن وهب، ص (٦٧ و ٨٨ و ١٧٩).
- الجامع لمعمر بن راشد، ص (٣٠ و ١٧٢ و ١٧٤).
- الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي، ص (٢٤٨).
- الحاوي الكبير للماوردي، ص (٢٧٩).
- الختان لابن أبي جراحة (ابن العديم)، ص (٣٠٠ و ٣٠٣ و ٣٠٤ و ٣٠٥).
- الدعاء للطبراني، ص (٣٤).
- الرعاية لابن حمدان، ص (١٣١ و ١٦١).
- الروض الأنف للسهيلي، ص (١٨٤ و ١٨٥ و ٢٠٢ و ٢٠٤).
- سنن سعيد بن منصور، ص (٣١٩ و ٣٣٢).
- الشامل لابن الصباغ في فقه الشافعية ص (٢٧٨).
- شرح الهداية لأبي البركات، ص (٢٧٧ و ٢٩٤ و ٣١٩).
- شرح صحيح مسلم للقاضي عياض، ص (٢٣٦).
- شُعَب الإيمان، للبيهقي، ص (٢٦ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٦ و ٣٧ و ٤٧ و ٥١ و ٩٤ و ١١١ و ١٢٤ و ١٧٤ و ٣٣١ و ٣٣٢ و ٣٦).

- الصحاح، للجوهري، ص (٦٦ و ٢١٩ و ٢٢٠ و ٢٢٤ و ٤٢٦).
- صحيح البخاري، ص (١٦، ٤٩، ٥٣، ١٦١، ١٧٧، ١٨٦، ٢٠٠، ٢٦٢، ٢٢٣، ٢٦٣، ٣٩٥، ٣٣٢) وغيرها.
- صحيح مسلم، ص (١٦، ١٧، ٢٦، ٣٤، ١٥٣، ١٦٣، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٤، ١٨٦، ١٨٧، ١٩٢، ٢٠١، ٢١٠، ٢٢٥، ٢٣٦، ٢٤٢، ٣١٨، ٣٣٤).
- الغذاء لبقرط، ص (٣٦٣ و ٣٧٣ و ٤٠٥).
- الفصول لبقرط، ص (٣٤٤ و ٤٠٦).
- الكامل في الضعفاء لابن عدي، ص (٢٤٨ و ٢٤٩).
- مجاز القرآن لأبي عبيدة، ص (٣٩٣).
- مختصر ابن تميم، ص (٢٩٣).
- مختصر الخرقى، ص (٤١٢).
- مسائل الإمام أحمد وإسحاق، للمروزي. ص (٧٩ و ١٣٤ و ١٣٦).
- مسائل الإمام أحمد. رواية عبد الله. ص (١٣٠ و ٢٢٣ و ٢٤٠ و ٢٢٨).
- مسائل الإمام أحمد. رواية أبي داود، ص (٧٧ و ٨٦ و ١٠٧ و ١٨٩ و ٢٢٢).
- مسائل الإمام أحمد، رواية ابن هانئ النيسابوري. ص (٧٧).
- مسائل الإمام أحمد، رواية حرب الكرماني، ص (٢٣٨ و ٢٧٤).
- المستدرک للحاكم، ص (٢١ و ٣٦ و ٣١٦).
- المصنف لابن أبي شيبة، ص (٨٢ و ٨٣ و ٩٤ و ١٦٥ و ١٦٩).

و١٧٢ و١٨٥ و١٩٠ و١٩١ و٢٠٣ و٢٠٥).

- المصنّف لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، ص (٢٦ و٣٠ و٨٥ و١٢٩ و١٤٥ و١٧٤).

- معالم السنن، للخطّابي، ص (٢٢٣ و٢٤٢).

- معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ص (٣٩٣ و٣٩٤ و٤٢٣).

- المعجم الكبير، للطبراني، ص (١٤ و٢١٤ و٣٣٠).

- معرفة علوم الحديث، للحاكم، ص (٢١).

- المغني لابن قدامة، ص ٢٨٤ و٣٨٣ و٣٩٨ و٤١٤ و٤١٩ و٤٢٠).

- منتهى الغاية لأبي البركات ابن تيمية = شرح الهداية.

- نهاية المطلب لإمام الحرمين الجويني، ص (٢٤٣ و٢٧٨ و٢٧٩).

٥- الطبعات السابقة للكتاب:

طبع الكتاب أكثر من مرة، في مصر وسورية ولبنان والهند وباكستان، وفي بعض الطبعات لا نجد مكانًا للطبع ولا اسم الناشر.

فقد طبع لأول مرة في المطبعة الهندية في بومبي بالهند، سنة ١٣٨٠ هـ ١٩٦٢ م، بتحقيق الأستاذ عبد الحكيم شرف الدين الهندي، وأعيدت طباعته في لاهور بالباكستان، وتقع هذه الطبعة في (١٩٠) صفحة^(١).

(١) انظر: ذخائر التراث العربي الإسلامي، لعبد الرحمن عبد الجبار، ص ٢٢١، والتقريب لفقّه ابن القيم: ١/١٩٢، وابن قيم الجوزية: حياته، آثاره، موارده، ص ٢٣٠. كلاهما للشيخ بكر أبو زيد.

ثم طبع في دمشق بتحقيق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط - رحمه الله - وصدر عن مكتبة دار البيان سنة ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م، ثم أعيد نشره فيها بعناية بشير محمد عيون سنة ١٤٠٧ هـ، وصدر عن المكتبة القيمة بالقاهرة، سنة ١٣٩٧ هـ.

ونشرته مكتبة المتنبى في القاهرة عام ١٩٨٠ م، وطبع بتحقيق عبد الغفار سلمان البنداري في دار الجيل، بيروت سنة ١٩٨٣ م، وطبع بتحقيق وتعليق عبد اللطيف آل محمد الفواعير، وصدر عن دار الفكر في عمان بالأردن، ١٩٨٨ م. وطبع في مكتبة الإيمان بالمنصورة سنة ١٩٩٣ م.

و صدر عن دار الكتب العلمية في بيروت سنة ١٤٠٣ هـ، وعن دار البشائر الإسلامية في بيروت سنة ١٤٠٩ و طبع فيها للمرة الثانية سنة ١٤١٩ هـ، و صدر له طبعة أخرى في الكويت، دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع، تحقيق صلاح الدين مقبول أحمد، سنة ١٤١٦ هـ.

و صدر أيضًا عن دار المنار بدمشق ١٤١٩ هـ، وطبع بتحقيق محمد أبو العباس، بمكتبة القرآن بالقاهرة، وبتحقيق فواز زمرلي بدار الكتاب العربي في بيروت سنة ١٤٢٠ هـ، ونشرته دار ابن عفان بتحقيق سليم الهلالي، وطبعته دار ابن حزم في بيروت سنة ١٤٢٤ هـ.

وطبع بتحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط ومصطفى أبو يعقوب، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٦ م، وطبع أيضًا بتحقيق عبد المنعم العاني، وبتحقيق محمد صبحي حلاق، وطبع في مكتبة الدعوة الإسلامية في فيصل آباد بباكستان، بتحقيق محمد رمضان الأثري، بدون تاريخ.

وليس هذا استقراء لكل الطبعات والنشرات، ولكنه ما وصل إليه علمي منها، أو ما اطلعت عليه. وهذه الطبعات متفاوتة في الجودة والإتقان والتحقيق والتخريج، فمنها ما كان على منهج سديد، ومنها ما كان دون ذلك، ومنها ما اعتمد نشره على نسخة خطية مع المقابلة بالمطبوع، ومنها ما كان إعادة تنضيد لإحدى الطبعات وإخفاء معالمها. ولكل وجهة هو مؤليها.

٦- أثر الكتاب فيمن جاء بعد ابن القيم:

كان للكتاب أثر في مؤلفات بعض العلماء، فقد نقلوا عنه وأشاروا إلى بعض الترجيحات والآراء. ونجد أمثلة على هذا في «الإقناع في مذهب الإمام أحمد» لشهاب الدين موسى بن أحمد الحجراوي^(١)، وفي «كشف المخدرات على أخصر المختصرات» للبعلي^(٢)، وفي «كشاف القناع» للبهوتي^(٣)، وفي «فيض القدير»

(١) الإقناع: ١/٦٧ أحكام الوطاء الكامل و٢/٥٨ صلاة ركعتين بنية تحية المسجد وسنة المكتوبة و٢/٥٦-٥٧ التسمية بعد المطلب و٢/٥٩ حكم العقيقة وكيفية طبخها دون كسر عظامها.

(٢) كشف المخدرات، ص ٧٣ عن أحكام تغييب الحشفة.

(٣) كشاف القناع في مواضع متعددة منها: ١/٨٩ (طبع مكة) مبحث يكره إمرار موسى على من لا قلقة له - في الختان، و١/١٦٥ أحكام تغييب الحشفة، و٣/٢٠-٢١ و٢٦ ذبح العقيقة أفضل من التصديق بثمنها و٣/٢٣، ٢٤ الهدي كالأضحية و في منع التسمية بأسماء سور القرآن وفي التسمية بأفصح ويسار، وفي ضمان السراية فيما لو أذن له أن يختنه زمن الحر...

للمناوي^(١)، وفي «مطالب أولي النهى» للرحبياني^(٢)، وفي «شرح الزرقاني على الموطأ»^(٣)، وفي «الإيضاح والتبيين» للسخاوي^(٤)، وفي «بغية النساك في أحكام السواك» للسفاريني^(٥)، وفي غيرها من الكتب والمؤلفات مثل: «الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف» للمرداوي^(٦)، و«حاشية البجيرمي على المنهج»، و«نيل الأوطار» للشوكاني.

(١) فيض القدير في مواضع كثيرة منها: ٢٠٧/١ ختان إبراهيم وعمره عند ذلك، و٢٢٠/١ تحريم التسمية بسيد ولد آدم و التسمية بأسماء الله الحسنى، و٢٢٦/١ عن تعليم الأولاد كلمة التوحيد ليكون أول ما يقرع سمعهم، وهو في «التحفة» ونقله عن «الزاد»، و٢/٤٠٧ حول إبراهيم وأن له مرضعاً في الجنة، و٢/٥١٨ أسماء النبي باعتبار مسماها واحد، و٢/٥٥٣ تضعيف حديث إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم.. و٣/٢٤٦ التسمية بأسماء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

(٢) مطالب أولي النهى: ١/٣٦٢ أحكام تغيب الحشفة، و٦/٤٥٧ حكم ما لو اجتمع هدي وأضحية، و٦/٤٥٩ التسمية بملك الأملاك.. ويتورعون عن قاضي القضاة.. وفي مبحث الختان: فإن أذن له أن في زمن حر مفرط..... ما إذا تعذر تضمينه.

(٣) شرح الزرقاني: ٣/٢٤٨ في حكم الغيل: و الخبر لا ينافيه.. فإنه كالمشورة عليهم..

(٤) انظر: الإيضاح والتبيين، ص ١٦٦-١٦٨.

(٥) انظر: بغية النساك، ص ٦٥.

(٦) انظر: الإنصاف: ٤/٤١٤.

٧- أعمال حول الكتاب:

وأما الأعمال التي تناولت الكتاب بالاختصار والتعليق، فقد اختصره تقي الدين يحيى بن محمد بن يوسف بن علي البغدادي السعيدي الشافعي، المعروف بابن الكرمانى المتوفى بمصر سنة (٨٣٣) وسماه «المقصود من تحفة المودود لابن قيم الجوزية»^(١).

وعليه تعليقات للحافظ أبي تراب عبد التواب بن قمر الدين الملتاني الهندي المتوفى سنة ١٣٦٦ هـ^(٢).

وللشيخ محمد ناصر الدين الألباني «مختصر تحفة المودود لابن القيم: اختصار وتخريج»^(٣).

٨- وصف النسخ المعتمدة في التحقيق:

أشار كارل بروكلمان إلى النسخ الخطية للكتاب،^(٤) فذكر أنه مخطوط في ليبزج ٢٣٩، ولاندبرج-بريل ٦٤٠، وقلبيج علي ٧٧٧، والقاهرة: ثان ١، وإضافات ٦٥، والخالدية في القدس: ٢٧/٢٠. وفي

(١) انظر: هدية العارفين: ٢/٢٢١، وإيضاح المكنون: ٢/٥٤٧.

(٢) انظر: التقريب لفقهاء ابن القيم: ١/١٩٢، وابن قيم الجوزية: حياته وآثاره وموارده، ص ٢٣٠. فيما نقله عن العدد (٤٦) من مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(٣) انظر: ثبت مؤلفات الألباني، محمد بن عبد الله الشمراني: ١/٤٨ و٧٦، كما في موقع ملتقى أهل الحديث على الشبكة العالمية.

(٤) انظر كتابه: تاريخ الأدب العربي: القسم السادس، ص ٤٢٣.

«الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط»^(١) إشارة إلى نسخ أخرى في دار الكتب بالقاهرة، وفي مكتبة الفاتح بإستانبول، وفي المكتبة الوطنية في باريس، وفي جامعة ليدن بهولندا.

أما النسخ التي تيسر لي الاعتماد عليها في التحقيق فهي أربع نسخ، بعضها مما ذكر في تلك المصادر، وبعضها مما لم يذكر فيها:

النسخة الأولى:

نسخة محفوظة في المكتبة المحمودية بالمدينة النبوية - حرسها الله - وهي نسخة مقابلة ومصححة، كتبت بخط النسخ، سنة ٧٧٠هـ، وكُمّلت بعض مواضعها بخط مغاير، وأوراقها ٩٠ ورقة، وفي الصفحة ٢٣ سطرًا، مقاس ٢٠×١٥ سم، ورقمها في المكتبة ٢٦٦٧ مجموعة ٨٤، وعلى صفحة العنوان: «هذا كتاب تحفة المودود في أحكام المولود، تصنيف الشيخ الإمام العالم العلامة، عمدة الحفاظ فارس المعاني...»^(٢) محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي المعروف بابن القيم جزاه الله جزاء الأبرار ووقاه عذاب النار. أمين».

وعلى النسخة ختم في الصفحة الأولى. وفي آخرها كذلك ختم الوقفية باسم المدرسة المحمودية.

(١) قسم الفقه وأصوله: ٤٦١ / ٢.

(٢) كذا في النسخة ولعل فيه نقصًا.

والنسخة بخط عبد الله بن أحمد بن عبد الله المقدسي الحنبلي،
فرغ منها يوم السبت الثالث من شهر جمادى الآخرة سنة سبعين
وسبعمئة، و لم يذكر فيها مكان النسخ، وعليها تملكات مؤرخة وبعضها
مشطوب عليه.

وقد رمزت لهذه النسخة بالحرف (أ).

النسخة الثانية:

وهي نسخة مكتبة عارف حكمت بالمدينة النبوية على ساكنها
أفضل الصلاة وأتم السلام، وهي نسخة تامة، وتقع في ٩٣ ورقة، وفي
كل صفحة ٢٢ سطرًا، مقاس ١٥×٢١ سم بخط النسخ، وفي صفحة
العنوان: «كتاب تحفة المولود تأليف شمس الدين محمد بن القيم
الحنبلي». وعليها أختام ورقمها ٢٣٤. وفي آخرها: «تمّ بعونه ولطفه».
ويليه ختم الوقفية، وليس عليها تاريخ النسخ ولا مكانه، ولا اسم
الناسخ.

وقد رمزت لها بالحرف (ب).

النسخة الثالثة:

وهي نسخة مكتبة مدرسة قليج على ضمن المكتبة السليمانية في
إستانبول بتركيا، وتقع في ٩١ ورقة، في الصفحة ٢٣ سطرًا. مكتوبة
 بخط النسخ، وفي صفحة العنوان: «كتاب تحفة المودود بأحكام
المولود، تأليف شيخ الإسلام قدوة الأنام شمس الدين أبو الزهر (كذا)

محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الدين، عرف بابن قيم الجوزية رحمه الله». ويسبق هذه الصفحة ورقة عليها ختم المكتبة ورقم التصنيف، ورقمها ٧٧٧/٧٩٧، كما يوجد الختم أيضًا في آخرها، وكتبت عناوين الأبواب والفصول بخط ثخين مميز، وليس عليها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ ومكانه. وختمت بقوله: «والحمد لله رب العالمين، وصلواته على خير خلقه محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

و قد رمزت لها بالحرف (ج).

النسخة الرابعة:

وهي نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق الشام، وهي بخط نسخ مقروء، وتقع في ١٣٢ لوحة، وفي الصفحة ١٥ سطرًا، وفي صفحة العنوان على اليمين تملك الشيخ محمد جميل الشطي في شهر شعبان ١٣٥٢هـ، وفي أعلى صفحة العنوان: «طالع في هذا الكتاب فقير رحمة الله العلي محمد بن الحاج أحمد السفاريني الحنبلي سنة ١١٣٨». كما يوجد تحت العنوان سبب تصنيف الكتاب، كما تقدم فيما سبق، وهي نسخة مقروءة ومضبوطة في كثير من المواضع، وفيها تصحيحات في الحواشي، ولكنها ناقصة بضع كلمات أو فقرات أحيانًا في مواضع متفرقة. وفي آخرها: «فرغ من نسخه كاتبه العبد الفقير المعترف بالزلزل والتقصير الراجي عفوره الغني عبد الله بن علي بن أيدغدي الحنبلي. غفر الله له، في الثاني والعشرين من شهر رمضان المعظم قدره، سنة

سبع وثمانمئة. والحمد لله وحده، وحسبنا الله ونعم الوكيل». ثم كتب من طالعه وقرأه: «الحمد لله وحده، بلغ مطالعة من أوله إلى آخره فقير عفوربه العلي عبد القادر الحنبلي عامله الله بلطفه الخفي والجلي بتاريخ شهر شوال المبارك سنة إحدى وتسعين وثمان مئة. أحسن الله تقضيه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم».

وقد رمزت لها بالحرف (د).

٩- منهج التحقيق وطريقته:

أما المنهج الذي سلكته في هذه النشرة الجديدة للكتاب؛ فإنه يقوم على أصول وقواعد اتفق عليها علماء التحقيق ونشر التراث. وخلاصة ذلك: أن يبذل المحقق عناية خاصة بالمخطوط لتقدمه إلى القارئ صحيحاً دقيقاً، كما وضعه مؤلفه أو في أقرب صورة مما وضعه عليه.

• وتكاد كلمة المحققين تجتمع على أن الجهود التي تبذل في كل مخطوط يجب أن تتناول تحقيق عنوان الكتاب، وتحقيق نسبه إلى مؤلفه، ثم تحقيق متن الكتاب ونصّه. وبذلك يفارق التحقيق الشرح والتعليق، الذي ينبغي أن يكون على قدر الحاجة، دون الإفاضة والتوسع فيه، ودون الإفراط في التخريج، لأن لكل هذا مجالاً غير مجال التحقيق، وإن كان هذا الأمر قد أفرط فيه بعض المحققين وفرط فيه آخرون.

• ولذلك انصرفت العناية إلى مقابلة النسخ الخطية للكتاب،

وإثبات ما يراه المحقق صوابًا في المتن، ثم الإشارة إلى العبارات الأخرى المخالفة في الحواشي، وقد يخالف اجتهاد بعض القراء ذلك، وأظن الأمر يسيرًا في هذه الناحية، واتبعت في ذلك طريقة النص المختار، إذ ليس بين النسخ الخطية التي حصلت عليها ما يصلح لاعتماده نسخة أصلية نعتبرها أمّا نقابل عليها سائر النسخ الأخرى.

• ثم كان من المناسب ضبط كثير من الكلمات والنصوص، وفي ذلك تيسير على بعض القراء، وتقريب للكتاب إلى بعضهم. أما الشروح والتعليقات، فقد كانت يسيرة في بعض المواضع للحاجة إلى ذلك، دون إسراف أو تكثير للصفحات.

• ومن المهم في التحقيق: تخريج الأحاديث الشريفة والآثار تخريجًا إجماليًا، مع الاقتصار على الصحيحين أو أحدهما إذا كان الحديث فيهما أو في أحدهما، وما لم يكن في الصحيح فإنه ينقل حكم الأئمة على الحديث من حيث القبول أو الرد، لئلا يتحول التحقيق إلى دراسة الأسانيد والإسراف في التخريج.

• ومن المناسب الإشارة هنا إلى أن بعض المصادر أشرت فيها إلى طبعتين، كالمسند للإمام أحمد، حيث كان العزو أولاً للطبعة المصورة عن اليمينية، وهي في ست مجلدات، ثم إلى طبعة مؤسسة الرسالة بتحقيق وإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، وبهذا يمكن لمن أراد التوسع في التخريج والحكم على الحديث أن يجد ضالته فيه، وكذلك بالنسبة لمصنف ابن أبي شيبة، جاء العزو للطبعة الهندية

بتحقيق عامر الأعظمي، ثم الطبعة الجديدة في دار القبلة بجدة بتحقيق الشيخ محمد عوامة.

• ومن الجدير بالذكر هنا الإشارة إلى أن العزو لبعض الأئمة في التخريج ينصرف عند الإطلاق إلى المشهور من كتبهم في ذلك؛ فالعزو لليهقي يعني «السنن» ولعبد الرزاق يعني «المصنف»، وللطبري يعني «التفسير» وهكذا.. عند الإطلاق، وإلا فهو للكتاب المسمّى.

• وأما النصوص التي نقلها المصنف -رحمه الله- فقد أعيدت إلى مصادرها، ما عدا جملة قليلة منها تعذر الرجوع إلى مصدرها لعدم توفره، أو لأنه في عداد المفقود.

• ومما يتصل بهذا الجانب، كان من المناسب ربط كلام المصنف في كتابه هذا بما كتبه في مواضع أخرى من كتبه التي أشرت إليها فيما سبق، وفي هذا فائدة للقارئ وتوثيق للكتاب.

• وكذلك انصرفت العناية من الناحية الشكلية إلى طريقة توزيع النص وحسن تنسيقه، والاهتمام بعلامات الترقيم، وإبراز بعض الأفكار أو رؤوس المسائل بكتابتها بحرف غامق لنستغني بذلك عن إدخال عناوين لها في الكتاب، ولتوجيه النظر إليها بسهولة.

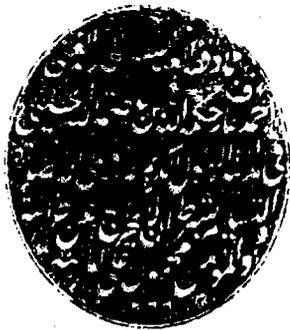
• وأما الفهارس المتنوعة فأصبحت من ضروريات التحقيق العلمي، لتيسير الاستفادة من الكتاب بصورة أوفى. وقد قام بها مشكوراً الشيخ عدنان البخاري.

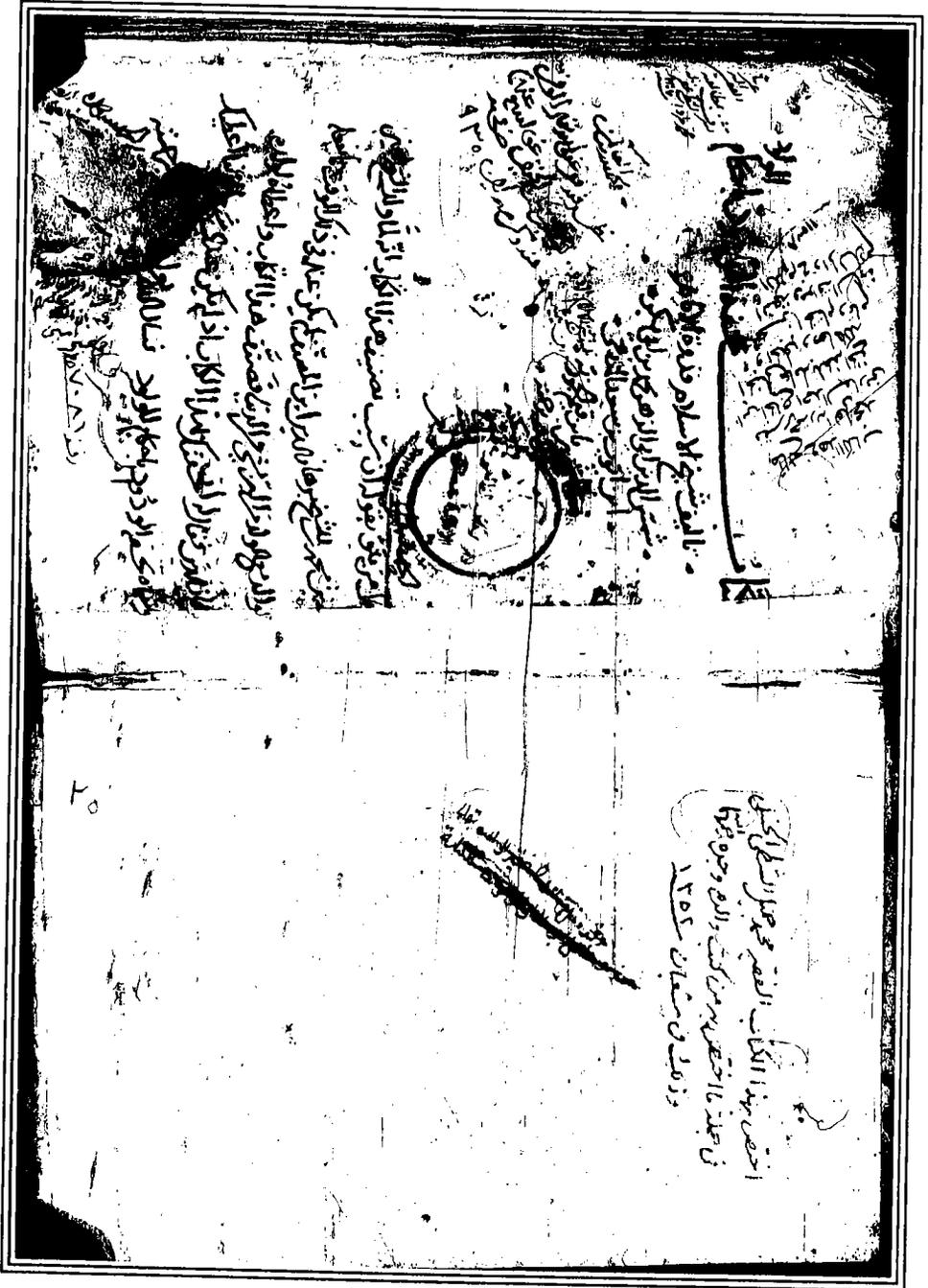
وليس هذا بأفضل الممكن في هذا العمل، ولكنه جهد المقل،
استفاد من قراءة الأساتذة المراجعين ودقيق ملاحظاتهم وتصويباتهم
التي كان لها أكبر الأثر في تجويد العمل وإتقانه، مما استوجب الشكر
لهم والثناء والدعوات. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا
محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

ويا اهل النار خلود ولا موت فهذا آثر احوال هذه النظمه التي
 هي مبتدأ الانسان وما بين هذه البوايه وهذه العاقبه احواله وطبقات
 قنود العزيم العليم بتقل الانسان في هلاكه وكبره لها طبقا بديق
 حتى يصل الى ما يتم من العلة والشقاوة قتل الانسان ما اكفر
 من اني شئ خلقه من نطقه خلقه فتدرك ثم السيل يتوه ثم مات
 فاقبره ثم اذا شاء انشأه كذا في انقضائه فانه العظيم ان يجعلنا
 من الذين سبق لهم جنات الخلد ولا يجعلنا من الذين غلبت عليهم الشقا
 في الدارين والادب انه سبي الدعاء وهو حسبا ونعم الوكيل والحمد
 لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

تليما كثيرا اليوم الدين تم بمؤانه

ولطف ١٤





ورقة عنوان نسخة المكتبة الظاهرية

